النظرة التحفيزية للهجرة النبوية.

الحمدُ للَّه الذي هدانا للإيمان وللإسلام، فما كُنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله.

والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، الذي هاجر من أجل الإيمان والإسلام. فعَز شأنه وجَل مقامه، بعزة وجلال الله.

ونشهد بحق، أنه (صلى الله عليه وسلم) أدى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده. فجزاهُ الله عنا، خيرَ ما جزى نبيًّا عن أتباعهِ.

أما بعدُ:

فدائما في بداية سنة هجرية جديدة، يتناسب الكلام عن حادث الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، التي سبقتها الهجرة الأولى إلى الحبشة الإفريقية.

لهذا، لابد من مقالات تاريخية معززة، لأهمية معرفة سيرة

نَبيّنا (صلى الله عليه وسلم) وتاريخ أُمَّتِنا. والأهم باستمرار أن نأخذ الدروس والعِبر، لنستثمرها في حياتِنا اليومية من أجل الدنيا والآخرة معاً.

فبعد أحداث هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة، كانت الهجرة الأولى مُقدمة لهجرة ثانية أكثر للحبشة نفسها، ثم للهجرة الكبرى للنبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته إلى المدينة، التي كانت تُسمى يثْرب وسُمِّيت بدار الهجرة.

لذا، صارت الهجرة النبوية، هي انتقالَ نبينا (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، بعد بعثته بثلاث عشرة سنَة، حين قرّر المشركون قتله، كما جاء في قوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ. وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)(الأنفال:30).

وقد اتفقوا على قتْلِه (صلى الله عليه وسلم)، بأن كلّفوا من كلّ

قبيلةٍ رجلا ذا جاه وقوة، ليضربوه (صلى الله عليه وسلم) مجتمعين حتى يتفرَّقَ دمُهُ في القبائلِ. لكن جِبريل أتاه، فأمرَهُ أنْ لا يبيتَ في مضْجَعِهِ الذي كانَ يبيتُ فيهِ، وأخبرَهُ بمَكرِ قومه به.

فأُذن له (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة، كما يُفهم من قوله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) (الحج:39).

والهجرة كانت للمدينة، التي لقِيَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) في موْسمِ اجتماع الناس بمكة، نَفَرًا من أهلِها الخزرجِ. فدعاهم إلى الإسلامِ فأسلموا، حتى ازدادَ عددُهم في العامِ التالي. ولمَّا انصرَفوا، بعثَ معَهُم الرسولُ (صلى الله عليه وسلم) ابنَ أمّ مكتومٍ ومُصعبَ بنَ عُمَيرٍ يُعلّمانِ منْ أسلَمَ منهم القرآنَ، ويَدعوانِ من لم يُسْلِمْ إلى الإسلامِ. فلمَّا كثُرَ الأنصارُ في المدينة، أمر الله المسلمينَ بالهجرةِ إليها.

فخرج رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) مَع أبي بكر (رضي الله عنه)، حتى دخلاَ غارِ ثوْر. ونسَجَتْ العنكبوتُ على بابِهِ، وباضَتْ فيه حمامةٌ ورقَدَتْ، كلٌّ بإذن ربه لحمايته (صلى الله عليه وسلم). وعندما وصلت قريشٌ إلى الغارِ، قال أبو بكر (رضي الله عنه): "يا رسول الله: لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا"، فقال (صلى الله عليه وسلم): (ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما)(متفق عليه).

وقد نصره الله على المشركين، كما في قوله سبحانه: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ. وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا. وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(التوبة:40).

كما تَجلّت عناية الله برسوله، بفشل كل محاولات المشركين

في تَتَبعه وإعادته. فشَهِدوا بذلك، شهادات أوضحُها شهادة سُراقة في قصته المشهورة، حيث حاول أن ينفرد وحده بالمكافأة التي خصّصوها لمن يُرجِعه (صلى الله عليه وسلم) لهم. لكن سراقة لم يستطع الوصول إليه (صلى الله عليه وسلم)، رغم محاولات عديدة. فثبت لديه يقينا، صِدق النبوة.

ثم بعده (صلى الله عليه وسلم)، هاجر كثير من المسلمين. لكنهم هاجروا مع النية الصالحة، كما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(البقرة:218).

هذا لكي لا يقعوا فيما نبّه عليه الحديث النبوي الشريف: (إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنيا

يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)(متفق عليه).

وهكذا كان المهاجرون الصادقون، مثلما ورد فيهم قوله سبحانه: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحشر:8).

فنالوا عند الله الأجر العظيم، الذي بشّرهم به في قوله عز وجل: (فالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ. وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)(آل عمران:195).

كما نال الأجر العظيم، الأنصار الذين نصروهم، حيث قال فيهم ربُّهم: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ. وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(الحشر:9).

وفلاَحُ الأنصار، ورد في قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة:100). لهذا مدحهم رسولنا (صلى الله عليه وسلم)، قائلا: (ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار")(متفق عليه).

فكانت هذه باختصار، أحداث هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة. وبقي مرة أخرى الحديث الأهم، في الدروس والعِبر من تفاصيل الهجرة النبوية.

وفيما يَخُص الدروس والعبَر، هي متعددة ومتنوعة. منها:

1) إنه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومع هذا، اتخذ للهجرة أسبابها. فاختار الرفيق الصديق أبا بكر، والدليل الخبير عبدَ الله بن أريقط الليثي، وأمّن الزاد والراحلة والطريق. فعمل بالأسباب مُتكلا على الله، لا متواكلا عليه. وهكذا ينبغي أن نكون في حياتنا، نحن المسلمون دائما، نتّكل ولا نتواكل بدعوى القضاء والقدر.

2) إن في اختياره (صلى الله عليه وسلم)، أبا بكر (رضي الله عنه)، رفيقا وصديقا، رد ضمني وصريح، على كل الطاعنين في أبي بكر خصوصا وفي الصحابة عموما. فيكون كلام الشيعة المنحرفين، وكل من انحرف مثلهم، للطعن في كثير من الصحابة رضي الله عنهم، كلاما لاغيا بلا شك وضالا بلا ريب.

3) لقد ردّ نبينا الأمين (صلى الله عليه وسلم)، الأمانات إلى أصحابها. وكلّف عَليا (رضي الله عنه) ألا يَضيع أحداً. لكن

كثيرين منا، يستغلون الهجرة للتملص من الديون والأمانات، متجاهلين حساب الله وقولَه تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)(النساء:58)، ثم فِعْلَه وقولَه (صلى الله عليه وسلم): (أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخُن من خانك)(المستدرك على الصحيحين).

4) مكانة الشباب ظهرت في تفاصيل الهجرة، خصوصا ما قام به علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، حين نام في فراش النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة الهجرة. وما قام به عبد الله بن أبي بكر، حيث كان يتتبع أخبار قريش، ليُخبر بها النبي (صلى الله عليه وسلم).

فكان الشباب، منخرطا بقوة في كل مسائل الدعوة الإسلامية، خلافا لشبابنا اليوم، الذي صار أغلبه منشغلا بالملاهي ومواطن الخلل شيئا فشيئا ومبتعدا عن المساجد ومجالس العلم أكثر

فأكثر.

5) كما ظهرت مكانة المرأة، من خلال ما قامت به عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما، **في متطلبات الهجرة. فكانتا خير سَند للنبي (صلى الله عليه وسلم) ولأبيهما أبي بكر (رضي الله عنه).**

فكانت النساء أيضا، منخرطات في تلبية الحاجيات، خلافا لكثير من نسائنا اليوم، اللواتي صرن منشغلات بالشكليات أكثر الأساسيات.

6) من أول ما أقامه (صلى الله عليه وسلم) بعد وصوله للمدينة، المسجد مُسهما بنفسه في البناء مع أصحابه. فدلّ هذا على مكانة المساجد عند المسلمين، كما ثبت في قوله (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا)(مسلم).

7) قد آخى (صلى الله عليه وسلم) بين المهاجرين والأنصار، مُبرِزا البناء الذي ينبغي أن تتأسس عليه الدولة الإسلامية.

فكان من دعاماتها التي افتقدناها كثيرا في زماننا، قوله (صلى الله عليه وسلم): (المسلم أخو المسلم)(متفق عليه).

لذا، كان من أهم فوائد الهجرة النبوية، انتشار الإسلام الذي كان في مكة مغموراً. فانتشر بفضل وضعِه الجديد، بتأسيس دولته في المدينة المنورة، إلى أن انتشر أكثر فأكثر في الدنيا كلها.

وأخيرا وليس آخرا، فقد انقطعت تلك الهجرة الخاصة، بقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) بعد الفتح الأكبر لمكة المكرمة ودخول الناس في دين الله أفواجا: (لا هجرة بعد الفتح ولكنْ جهاد ونية وإذا استُنفِرتم فانفروا)(متفق عليه)، أي للجهاد المتواصل أبدا.

لكن الهجرة الحقيقية من مكان إلى آخر، تبقى دائما لازمة لمَن تلزمه، حفاظا على الدين خصوصا. والهجرة المعنوية أكثر،

تبقى هي للجميع، بهجْر ما نهى الله عنه، كما جاء على لسان المصطفى (صلى الله عليه وسلم): (المؤمن من أمِنه الناس، والمسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هَجر السوء)(المستدرك على الصحيحين).

فكانت هذه فقط بعض أهم الدروس والعِبر، من الهجرة الشرعية، حسب ما يقتضيه المقام. وندعو الله صادقين، أن يوفقنا لاستثمارها في حياتنا اليومية، حتى نكون حقا مثل المهاجرين والأنصار، في الدنيا والآخرة، مهاجرين للسيئات ومناصرين للحسنات.

وآخر دعوانا، أن الحمد لله، الهادي للحسنات دون السيئات.